العائلة في العهد الجديد.

الخوري ميشال صقر

مقدمة

لكلمة "عائلة" في الأصل اليوناني مرادفان: "*patria*" وقد استُعملت ثلاث مرات فقط في العهد الجديد (لو ٢/٤؛ رسل ٣/٢٥؛ أف ٣/١٥)، وكلمة " oikos أو oikia " وهي الأكثر استعمالاً. نجد هاتين الكلمتين في معانٍ مختلفة: عشيرة، بيت، سلالة، قبيلة، أمّة وعائلة. فيوسف مثلاً هو من عشيرة "*patria*" داود (لو ٢/٤)، وقد أُرسل يسوع إلى الخراف الضالة من بيت "oikos" اسرائيل (متى ١٠/٦).

لكن، بعيدًا عن الكلمة نفسها، نعرف أنّ العائلة هي الخليّة الأولى للمجتمع والموضع الأول والأساسي لحياة البشر. فيها يولد الانسان، ينمو، يتطوّر، يعيش، يحقق، يعمل، وطبيعيًا يموت. يتحدّث العهد الجديد عن مختلف أفراد العائلة: الأب، الأم، الأولاد، الجد، الأقارب، ويبيّن أُسس الحياة التي تجمعهم كالمشاركة، التربية، السعادة، الإيمان، إلخ. ويلمّح أيضًا على مختلف الأوضاع العائلية: العزوبيّة، البتوليّة، الزواج، الطلاق والترمّل، كما أنّه يعطي بعض التشريعات حول العائلة في ما يختص بالأخلاق البيتيّة وواجبات الزوجين.

١- عائلة يسوع

لعائلة الناصرة مكانةٌ فريدة في العهد الجديد إذ فيها وُلد الطفل يسوع وهي مثالٌ لكل العائلات المسيحيّة على ممر العصور. لكنّ يسوع، دون أن يقلل من قيمة عائلته الطبيعيّة، وسّع مفهوم العائلة إلى معنىً روحي أشمل وأسمى.

١. ١- عائلة يسوع الطبيعيّة

يتّفق متى ولوقا في أخبار الطفولة على أنّ مريم حبلت بيسوع من الروح القدس (متى ١٨/١ ولو ٣٥/١)؛ فهي أمه ويوسف النجار هو أبوه بالتبنّي. عاش يسوع مدّة ثلاثين سنة من حياته في محيط عائلي. وبما أنّ يوسف لا يُذكر في عرس قانا الجليل ولا على الصليب ولا في حياة يسوع العلنيّة فقد ملأ التقليد هذه الفجوة قائلاً إن يوسف مات بين يدي يسوع ومريم قبل أن ينصرف هذا الأخير إلى العمل الرسولي وهو بالتالي شفيع الميتة الصالحة.

أكثر من مرّة في الانجيل، يسوع معرّف من خلال عائلته من الناصرة (لو ١٦/٤) واخوته يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان (مر ٣/٦-٤). هؤلاء ليسوا بإخوته من نفس الأب والأم والبراهين كثيرة على ذلك منها: إذا كان ليوسف ومريم ابنٌ غير يسوع لماذا لا يقول الانجيل إنهم أخذوه معهم إلى أورشليم عندما كان هذا الأخير بعمر ١٢ سنة (لو ٤١/٢-٤٣)؟ وإذا كان ليسوع إخوة لماذا على الصليب سلّم أمه ليوحنا ويوحنا لأمه (يو ٢٥/١٩-٢٧).

أما بالنسبة لأقارب يسوع ومقارنةً لبعض الآيات (متى ٥٦/٢٧؛ مر ٤٠/١٥؛ يو ٢٥/١٩)، نذكر – دون تعليق – أنّ التفاسير الكتابيةّ والمعاجم تتحدّث عن نظريتين: النظرية الأولى تقول إنّ خالة يسوع (اخت أمّه) هي سالومة زوجة زبدى وأبناؤهما يوحنا الحبيب الإنجيلي ويعقوب الكبير الذي قطع رأسه هيرودس أغريبا بحد السيف سنة ٤٤م (رسل ١/١٢)؛ والنظرية الثانية تستند على أنّ كلوبا وحلفى لفظتان لرجل واحد في الأصل الآرامي وبالتالي إنّ كلوبا كان أخ مار يوسف، زوجته اسمها مريم، وإبناهما (إبنا عم يسوع) هما يوسى ويعقوب الصغير أخ الرب أول بطريرك على أورشليم الذي من إرثه الروحي كُتبت رسالة يعقوب.

١. ٢- عائلة يسوع الجديدة: تلاميذه والكنيسة

في عمر الثلاثين سنة ترك يسوع الإطار العائلي ليتفرّغ لرسالته العلنيّة. وعندما أتى إليه أمّه وأخوته وأرادوا أن يكلّموه أشار بيده إلى تلاميذه وأجاب: "هؤلاء هم أمي وأخوتي لأنّ مَن يعمل مشيئة الآب السماوي هو أخي وأختي وأمي" (متى ١٢/٤٦-٥٠). وعندما قيل له طوبى للبطن الذي حملك أردف قائلاً: "بل الطوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها" (لو ١١/٢٧). وبذلك، دون أن يسيء إلى "البطن" (مريم أمه)، يعتبر يسوع أنّ العائلة ليست الطريقة الوحيدة لتتميم وصايا الله. وبما انّ الاتّباع الجذري للمسيح ممكن أن يولّد شجارات في العلاقات العائليّة قال في أحد الأيام: "جئتُ لأفرّق بين المرء وأبيه، والبنت وامها... فيكون أعداء الإنسان أهل بيته" (متى ١٠/٣٥-٣٦). ومع اختياره إثني عشر تلميذًا، وبالرغم من قلّة إيمانهم وشكّهم، إعتبرهم يسوع المعنيّين الأوّلين بالبشرى الفصحية (متى ٢٨/٧ و١٠) وأوكل إليهم رسالة التبشير وانتشار الكنيسة (متى ٢٨/١٩ و١٦/١٨).

٢- تعليم يسوع حول العائلة

كثيرًا ما أعلن يسوع رسالته الخلاصيّة في قلب محيط عائلي، مثلاً شفاء حماة بطرس، صداقته لمريم مرتا ولعازر، إظهار مجده في عرس قانا الجليل، إلخ. وبسبب بعض الآباء شفى يسوع أولادهم: الصبي المصاب بالصرع شُفي بسبب أبيه (مر٩/١٧-٢٤)، المرأة الكنعانية لابنتها، ابنة يائيرس، شفاء خادم الملك، احياء ابن أرملة نائين. وفي تعاليمه، استعمل يسوع مواضيع وأفكار خاصة بالعائلة، مثلاً: مثل الابن الضال (لو ١٥/١١-٣٢)، مثل الإبنين (متى ٢١/٢٨-٣١)، مثل الأب الذي يرسل ابنه للكرم (مر ١٢/٦)، امثال العرس (مثل العذارى ومثل وليمة الملك)، إلخ. وفي مواضع اخرى اتّخذ يسوع مواقف عائليّة ليدافع عن اكرام الوالدين (مر ٧/١٠-١٣) وديمومة الزواج ضد الطلاق (متى ٥/٣١-٣٢ و١٩/٣-٩)؛ وتحدّث أيضًا حول قباحة الزنى (متى ٥/٢٧-٢٨ و٣١-٣٢)، حول العلاقات بين الأخوة (متى ٥/٢١-٢٤ و١٨/١٥-١٦)، حول الميراث (لو ١٢/١٣)، حول دفن الأب (متى ٨/٢١-٢٢)، حول وداع العائلة (لو ٩/٦١)، وحول البتولية الإختيارية من اجل الملكوت (متى ١٩/١٢).

٣- تعليم الرسل حول العائلة

عند بولس موضوعان أساسيّان: الموضوع الأول هو موضوع الرجل والمرأة (١قور ١١/١-١٦؛ أف ٥/٢١-٣٣؛ ١طيم ٢/٨-١٥) اللذين يرتبطان ببعضهما كما في علاقة المسيح بالكنيسة. فخضوع المرأة للرجل، بعيدًا من أن يكون استعبادًا، هو بمثابة تكامل الجسم مع الرأس؛ أما بالنسبة للرجل فمثاله حب المسيح لكنيسته أي بذل الحياة والصلب/الموت من أجل المرأة. الموضوع الثاني الرئيسي هو موضوع الأخلاق البيتيّة والعلاقة التي يجب أن تجمع مختلف أفراد العائلة الواحدة: الشيوخ، النساء، الرجال، الشبّان، والأطفال (قول ٣/١٨ – ٤/١؛ وأف ٥/٢١ – ٦/٩).

لا يختلف تعليم بطرس الرسول عن بولس في ما يختص واجبات الزوجين (١بط ٣/١-٧ و٥/٥-١١) لكنّه يشدّد على أن تكون زينة النساء لا في ضفر الشعر والتأنّق بالملابس وعلى الرجال أن يعرفوا أن المرأة اضعف منهم جبلة.

أما يوحنا فيكتب في رسالته (١يو ٢/١٢-١٧) للآباء والشبّان لكي يشجّعهم على التمسّك بوصايا الله خاصة المحبة ولكي يبتعدوا عن حب العالم وشهواته. وفي الرؤيا يعلن الكاتب أنّ عرس الحمل قد حان وعلى العروس أن تتهيّأ لاستقباله فطوبى للمدعوّين إلى ذلك العرس (رؤ ١٩/٩).

خاتمة

تطوّرَ مفهوم العائلة من العهد القديم إلى العهد الجديد: فليس الانتماء إلى عشيرةٍ ما أو شعبٍ ما يعطي الخلاص للإنسان، إنما مسؤوليته الشخصية، إيمانه بالله ومسلكه المحب يجعله أهلاً للانتماء إلى موطن القديسين وعائلة المخلَّصين في السماء. العائلة الطبيعيّة هي مهمّة للشخص لكنّها ليست الوحيدة في حياته إذ ينتمي بطريقة أشمل إلى العائلة البشرية التي تفترض عيش الأخوّة والمحبة والمشاركة، عائلة أبناء الله. وتبقى عائلة الناصرة في العهد الجديد المثال للعائلات المسيحية. الطاعة البنويّة (لو ٢/٥١)، احترام الموهبة الخاصة للولد (لو ٢/٤٨-٥٠)، نقل الإيمان والأخلاق، كلّها ميزات أساسية إن عاشها أفراد العائلة الواحدة حفظوا حياتهم من الدمار ونعموا بسعادة لا تزول.

المراجع

GRELOT, P., *Le couple humain dans l'Ecriture*, LeDiv 31, Paris 1962.
OGNIBENI, B., *Il matrimonio alla luce del Nuovo Testamento*, PUL, Vaticano 2007.
RAMOS, F.-P., *A família na Bíblia*, Vozes, Petrópolis/Rio de Janeiro 1999.
ROBINSON, D.W.B., «Famiglia» in *Dizionario Biblico GBU*, Roma 2008, 571-575.